

﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾

سعي المؤمن لي رضا ربه ﷻ

خطبة ألقاها

الشيخ ذو. سليمان بن سليم الله الرحيلي

أستاذ كرسي الفتوى بالجامعة الإسلامية والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

يوم ٩ جمادى الأولى ١٤٣٩ في الإمارات

[الخطبة الأولى]

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، ثم يا عباد الله:

إن ربنا سبحانه رحمن كريم، رؤوف رحيم، قوي عزيز -قوي عزيز-، شديد العقاب، يغفر ويرحم، ويعفو وينتقم، ويرضى ويسخط، ولذا كان نبينا ﷺ يقول في دعائه في سجوده، وفي آخر وتره: «اللهم أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك».

والفائز برضوان الله عز وجل في أعلى القمم، ومتنعم بأعظم النعم، والخاسر كل الخسارة من سخط الله عليه فكان في أرذل مقام، وشتان بين المقامين! يقول ربنا ﷻ: ﴿أَفَمِنْ أَتْبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوِلُهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ١٦٢].

وأعلى نعيم -يا عباد الله- رضا الرب الرحيم، يقول ربنا ﷻ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢].

وروى الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعيد، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا

نرضى وقد أعطيتنا ما لم تُعطِ أحداً من خلقك؟ فيقول: أنا أعطيتكم أفضل من ذلك» - أنا أعطيتكم أفضل من ذلك! - «قالوا: يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحلّ عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبداً».

ولذلك - يا عباد الله - كان الموفق المفلح من عباد الله: من كان شأنه أن يلتبس رضا الله، أن يعمل في الدنيا مبتغياً مرضات الله، قال ربنا تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ [الفتح: ٢٩].

وإذا أردت - يا عبد الله - أن تكون من أولئك المفلحين الذين رضي الله عنهم، فاسلك نفسك مع الصادقين، يقول الله عز وجل: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩]، فهنيئاً - عباد الله - لمن كان في الدنيا من الصادقين.

وكن - رعاك الله - من أهل الخشية من الله، خائفاً من الله، تخشى الله خشيةً تمنعك من تضييع الفرائض، وارتكاب المحارم، فإذا دعتك شياطين الإنس والجن، أو دعاك هواك، إلى أن تخالف شرع الله، جاءتك الخشية، فمَنَعَتْكَ من ترك فريضة عليك، أو ارتكاب محرّم عليك، فإن ذلك يُكسبك رضوان الله ﷻ، يقول ربنا سبحانه: ﴿جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينات: ٨] - ذلك لمن خشي ربه -.

وكن عبد الله - كن عبد الله! - عابداً لله صدقاً، مؤحداً لربك حقاً، لا تشرك بالله شيئاً، تفرّ من الشرك فارك من الأسد، ولازم الجماعة ولا تفارقها، وانصح لولي أمرك قولاً وفعلاً، فقد روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويكره لكم ثلاثاً، فيرضى لكم أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»، وفي رواية عنده: «ويسخط لكم ثلاثاً».

وفي رواية عند الإمام أحمد: «إن الله كره لكم ثلاثاً، ورضي لكم ثلاثاً، رضي لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً، وأن تنصحووا لولاة الأمر، وكره لكم قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال».

وكن -يا رعاك الله- من عباد الله الشاكرين، الذين يشكرون الله على نعمائه، بقلوبهم، وألسنتهم، وأعمالهم، كما قال ربنا ﷺ: ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧].

ولازم -رعاك الله- حمد الله على نعمه، فقد روى مسلم عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها».

وإذا ابتلاك الله فاحرص على الرضا لتنال الرضا، فقد روى الترمذي وابن ماجه عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط» -فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط-.

وكن -يا عبد الله- في كل ما يرزقك الله على ما يحب الله، فقد روى الإمام أحمد عن أبي العلاء بن الشخير قال: حدثني أحد بني سليم -ولا أحسبه إلا قد رأى رسول الله ﷺ- أن الله يبتلي عبده بما أعطاه -أن الله يبتلي عبده بما أعطاه-، فمن رضي بما قسم الله له بارك الله له فيه، ووسَّعه، ومن لم يرضَ لم يبارك له.

واحرص -رعاك الله- على أداء الحقوق إلى أهلها، ولا سيما حق الوالدين، أدِّها بالعدل والفضل، وجاهد نفسك، وصابر، حتى يرضى عنك والداك، فقد روى الترمذي عن عبد الله بن عمرو ﷺ عن نبينا ﷺ قال: «رضا الرب في رضا الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد».

وقدّم -رعاك الله- رضا ربك على رضا كل أحد -قدّم رضا ربك على رضا كل أحد-، يرزقك الله ﷻ رضاه ورضا خلقه، فقد روى الترمذي أن أماً عائشة ﷺ كتبت إلى معاوية ﷺ: سلام عليك، أما بعد، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس»، والسلام عليك.

وروى ابن حبان عنها - رضي الله عنها وأرضاها - أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه، وأرضى الناس عنه، ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه، وأسخط عليه الناس».

فتأملوا - عباد الله - فيما أنتم عليه، هل أنتم عاملون بما يرضي الله ﷻ؟ هل أنتم ملتزمون رضا الله، أم أنكم على غير هذا؟ فمن وجد أنه ملازم تقوى الله، ملازم طاعة الله، مجتهد في فعل الواجبات، وترك المحرمات، وإذا زلّت به القدم سارع إلى الندم، وتاب إلى ربه توبة نصوحاً، فليحمد الله ﷻ على فضله، وليسأل الله الثبات، ومن وجد غير ذلك فليراجع نفسه، وليسع في إرضاء ربه. فالحمد لله حتى يرضى، والحمد لله عند الرضا، والحمد لله بعد الرضا، والحمد لله على كل حال، ونعوذ بالله من حال أهل النار.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بالعلم الكريم.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد فيا عباد الله:

إن الموفق من عباد الله من يسلك نفسه مع أهل الطاعة والتقوى، ويرضى عن أهل الرضا، ويتعد عن أهل الفسق، فإن الله ﷻ لا يرضى عن القوم الفاسقين، كما قال ﷻ: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٦].

فإياك - يا من تلتمس رضا الله - أن تصاحب أهل الفسق، وأهل المعصية، وأن تجالسهم على معصية الرحمن.

عباد الله، عباد الله، التمسوا إرضاء الله في دنياكم، فإن الدنيا كلها قليل، وإن الباقي منها قليل، وإن الذي للواحد منا من قليلها قليل، وقد ذهب بعض قليلنا، والله أعلم متى ينتهي هذا القليل، والدنيا مع قلتها فإن متاعها قليل، ومع قلتها فإنه غرور لا حقيقة له.

والدنيا - يا عباد الله - ملعونة مُبْعَدَةٌ عن الله ﷻ، ملعونٌ ما فيها، إلا ما قَرَّبَ إلى رضا الله ﷻ، يقول النبي ﷺ: «الدنيا ملعونة، ملعونٌ ما فيها، إلا ذكر الله وما والاه، وعالمًا ومتعلمًا».

فالدنيا بكل أمورها مُبْعَدَةٌ عن ربنا، لأنها مُبْعَدَةٌ عن ربنا، إلا ما كان منها مُقَرَّبًا إلى الله، ومُقَرَّبًا إلى رضوان الله، فهو المحمود شرعاً، وهو النافع حقاً.

فإياك - يا عبد الله - أن تغترّ بالدنيا، وأن تسعى إلى إرضاء أهل الدنيا على حساب إرضائك لله ﷻ، بل انظر إلى ما أمامك، وانظر إلى مستقبلك الحقيقي، انظر إلى الدار الآخرة، وكن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل، وأجهد نفسك في إرضاء الله ﷻ، فإنك - ورب الكعبة - لا تدري متى تخرج هذه الروح، لكنك تعلم أنك قادر على طاعة الله، فأجهد نفسك - رعاك الله - في طاعة ربك، وفي ابتغاء رضوان الله ﷻ.

ثم اعلّموا - رحماني الله وإياكم - أنّ الله ﷻ أمرنا بأمر عظيم، بدأ فيه بنفسه، ثم ثنى بملائكته، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وقال النبي ﷺ: «من صلى عليّ صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات، وحطّ عنه عشر خطيئات، ورفع له عشر درجات».

فاللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد. فأكرم نفسك - يا عبد الله - بكثرة الصلاة على رسول الله ﷺ، فإن الملائكة تصلي عليك ما دُمت مصلياً على النبي ﷺ.

فاللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، وسلّم تسليماً كثيراً، وارضَ اللهم عن الصحابة أجمعين، وارضَ اللهم عن الصحابة أجمعين، وارضَ اللهم عنّا معهم بمنّك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللهم ارضَ عنا وأرضنا، اللهم ارضَ عنا وأرضنا، اللهم ارضَ عنا وأرضنا.

اللهمّ إنا نسألك رضوانك والجنة، اللهمّ إنا نسألك رضوانك والجنة، اللهمّ إنا نسألك رضوانك والجنة، ونعوذ بك من سخطك ومن النار، اللهمّ إنا نعوذ بك من سخطك ومن النار، اللهمّ إنا نعوذ بك من سخطك ومن النار.

نعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعذابه وعقابه، نعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعذابه وعقابه، نعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعذابه وعقابه.

اللهمّ يا ربنا، إنك أعلم بحالنا، اللهمّ إنك تعلم السر وأخفى، تعلم ظواهرنا، وتعلم ما في صدورنا، فمن علمته منا مقيماً على طاعةٍ اللهمّ فثبته عليها، وزده من الخير يا رب العالمين، ومن علمته منا مقيماً على معصيةٍ اللهمّ فكرهه في تلك المعصية، وارزقه توبةً ترضى بها عنه يا رب العالمين.

اللهمّ يا ربنا، إنا قومٌ من المسلمين، وعبادٌ من عبادك، قد اجتمعنا في بيت من بيوتك، نؤدي فريضةً من فرائضك، نرجو رحمتك ونخاف عذابك، اللهمّ فارحمنا أجمعين، اللهمّ فارحمنا أجمعين، اللهمّ فارحمنا أجمعين.

اللهمّ إنا ظلمنا أنفسنا ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لنا مغفرةً من عندك وارحمنا، إنك أنت الغفور الرحيم، اغفر لنا وارحمنا، إنك أنت الغفور الرحيم.

اللهمّ اغفر لنا، ولوالدينا، ولأهلينا، ولذرياتنا، يا رب العالمين.

اللهمّ يا ربنا، يا حي يا قيوم، نسألك كما جمعتنا بفضلِكَ في هذا المسجد أن تجمعنا ووالدينا وأهلنا وجيراننا ومن نحب في الفردوس الأعلى أجمعين، اللهمّ لا تحرم منا أحداً، اللهمّ لا تحرم منا أحداً، اللهمّ لا تحرم منا أحداً.

اللهمّ يا ربنا ارزقنا الفردوس الأعلى، اللهمّ ارزقنا الفردوس الأعلى، اللهمّ ارزقنا الفردوس الأعلى.

اللهمّ يا ربنا، يا حي يا قيوم، نسألك بأسمائك الحسنى، وصفاتك العلى، أن ترزقنا الأمن في أرضنا، اللهمّ ارزقنا الأمن في أرضنا، اللهمّ ارزقنا الأمن في أرضنا، اللهمّ ووسّع علينا في أرزاقنا، اللهمّ ووسّع علينا في أرزاقنا، اللهمّ واحفظ ولاية أمرنا يا رب العالمين.

اللهم احفظ حاكم هذه البلاد، اللهم احفظه، اللهم قوّه، اللهم ارزقه الصحة والعافية، اللهم اجعله ونائبه -اللهم اجعله ونائبه وولي عهده- رحمةً على الرعية يا رب العالمين، اللهم رقق قلبه وقلب نائبه وولي عهده على الرعية يا رب العالمين، اللهم اجعلهم من خيار عبادك، اللهم ارزقهم حب الرعية، وارزق الرعية حبهم يا رب العالمين، اللهم أعنهم على الخير يا رب العالمين، وقنا وإياهم شر العباد يا رب العالمين.

اللهم يا ربنا، يا حي يا قيوم، يا بديع السماوات والأرض، قربنا من كل خير، وباعدنا عن كل شر، يا رب العالمين.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

والله تعالى أعلى وأعلم، وصلى الله على نبينا وسلم.